جامعة زيان عاشور –الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

المقياس: تاريخ الجزائر الثقافي

الفوج: 10

بحث حول:

التكوين الثقافي لطائفة يهود الجزائر

إعدادالطالب :

* زعيتري أحمد
* زبار سميرة
* يطو سارة

السنة الجامعية : 2021/2020 م

خطة البحث:

- **مقدمة**
- **المبحث الأول: لمحة عن اليهود بالجزائر قبل و أثناء الحكم التركي**
  - **المطلب الأول: التواجد اليهودي بالجزائر قبل الحكم العثماني**
  - **المطلب الثاني: تأثير الهجرات الأندلسية**
  - **المطلب الثالث: اليهود ايام التواجد التركي**

المبحث الثاني: ظهور الامتيازات التجارية لليهود بالجزائر

- **المطلب الأول: تأسيس الشركة اليهودية التجارية**
- **المطلب الثاني: الثورة الفرنسية و حملة نابوليون على مصر و مساعدات الشركة اليهودية لفرنسا .**
- **المطلب الثالث: التدخلات السياسية لليهود**

- **الخاتمة**

مقدمة:

لقد مر الحكم العثماني للجزائر بأربعة مراحل:

أولها مرحلة البايلربايات (1518-1587)، ثانيها مرحلة الباشاوات (1587-1659)، ثالثها مرحلة الأغوات(1659-1671)، أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة الدايات(1671-1830).

تمتعت الجزائر في هذه المرحلة بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية، حيث كانت مرتبطة بها اسميا فقط، فأصبحت بذلك دولة مكتملة السيادة لها حكومة وعاصمة هي مدينة الجزائر مما جعلها تملك القرار في إعلان الحرب ومعاهدات السلم دون تدخل الباب العالي.

ظهرت فئة أو طائفة دخيلة عن المجتمع الجزائري ، ألا وهي طائفة اليهود ، التي استغلت فرصة ضعف الحكام و اهتمامهم بالمال ، وتدخلت و تسللت إلى بلاط الحكم ، و استطاعت الاستحواذ على ثقتهم ، والسيطرة على أوضاع البلاد خاصة مع أواخر العهد العثماني أي خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر للميلاد .

فمن خلال البحث في هذا الموضوع أي عن اليهود و دورهم في دبلوماسية الجزائر أواخر العهد العثماني ، أريد منح فرصة للإجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة بمكانة اليهود في المجتمع الجزائري و أسباب صدارتهم على المستويين الاقتصادي و السياسي و حدود هذه الصدارة ، كل هذا في الوقت الذي لعبت فيه الطاقات المحلية أي سكان البلاد تهميشا إلى حد كبير ، سواء انحدرت من أصول عربية أو بربرية أو حتى

أصول تركية ، وقد كان بإمكان هذا النظام استغلالها في تنشيط الحركة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية بشكل يفيد الإيالة .

كل هذا جعلني أطرح العديد من التساؤلات و الإشكاليات ضمن هذا البحث : فمن هم هؤلاء اليهود ؟ متى بدأ توافدهم يزداد إلى الجزائر ؟ ماهي الطرق التي استعملوها لكسب ثقة الحكام الأتراك بالجزائر ؟ كيف تمكنوا من السيطرة على دولاب الاقتصاد الجزائري ؟ كيف تحصلوا على هذه الامتيازات ؟ كيف كانت نتائج و انعكاسات هذه الامتيازات على المستوى السياسي للبلاد؟

المبحث الأول: لمحة عن اليهود بالجزائر قبل و أثناء الحكم التركي

المطلب الأول: التواجد اليهودي بالجزائر قبل الحكم العثماني

يعود تاريخ وجود اليهود بالجزائر إلى فترة إفريقيا الرومانية ، حينما كانت تعرف الجزائر باسم إيكوزيوم ، فهذا المكان لم يكن بعد سوى ميناء صغير محصن ذو سكان قلائل وحسب ما يبدو فإن اليهود لم يقيموا بها سوى في القرن الثالث للميلاد.[1]

وبعد مدة وجيزة من نشر النبي محمد صلى الله عليه وسلم الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، أصبح الفاتحون العرب سادة " المغرب الأوسط " ، فهذا البلد الذي توافق حدوده الشمال الجزائري الحالي سيخضع لسلطة الخلفاء الأمويين، وخلال فتوحاتهم ـ المسلمون ـ ، كانوا يصطحبون معهم ممونين و تجارا يضمنون لهم إمداد فرقهم، وبين هؤلاء كان اليهود من اليمن الجنوبي و مصر من أتباع الاعتقاد "البابلي" و أقام البعض منهم بإيكوزيوم .

اعتبر القرن العاشر الأندلسي العصر الذهبي للتعاون وفي بعض الأحيان التكافل بين اليهود و العرب ، فكل ما كان يحدث بقرطبة كان له عظيم الأثر خلال القرن العاشر على الأحياء العتيقة للمغرب الأوسط وفي هذه الفترة بالذات توسعت إكوزيوم التي كانت لمدة طويلة ميناء ثانوي وأصبحت مدينة جديدة كبيرة تعرف باسم الجزائر. [2]

وفي بداية القرن الثاني عشر ميلادي ارتبطت الثقافة اليهودية بالجزائر مباشرة بثقافة تلمسان التي أصبحت بحاخاماتها العارفين بعلوم التلمود و بفلاسفتها و أطبائها المشهورين أكثر المراكز إشعاعا لليهودية بالمغرب الأوسط . إلا أن زمن الاحتقار و الاضطهاد وفي بعض الأحيان حتى عمليات الذبح عاد من جديد. فقد نازع خلفاء جدد محتلين وهم الموحدون ، بربر المغرب العربي (المغرب الحالي) سلطة آخر خلفائهم و قضوا نهائيا على قواته عام 1147 م ن وزحفوا نحو الشرق محتلين واحدة تلو الأخرى مدن تلمسان و الجزائر و بجاية ، وكان الموحدين ينصبون في كل منطقة جديدة يصلون إليها إدارة عسكرية معادية كل العداء لليهود.

في نهاية القرن الرابع عشر ميلادي بعد الأحداث المناوئة لليهود سنة 1391 م بمدينتي أراغون و قشتالة لجأ الكثير من اليهود إلى المغرب الأوسط فرارا من الاضطهاد المسيحي بإسبانيا . ومنذ هذه

---

[1] عيسي (شنوف)، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة ، الجزائر ، 2000م. ص 39.

[2] نفسه. ص 40/39.

الفترة كان الانشطار الذي ميز عن طريق الهيئة و اللباس بين الميغوراشيم ـ اليهود اللاجئين القادمين من اسبانيا ـ و التوشافيم أو بالأحرى اليهود العرب.

ففي الجزائر المدينة يضع الميغوراشيم على رؤوسهم برنيطة بينما يلف التوشافيم رؤوسهم بلحاف من القماش ، و زادت هذه الظاهرة حدة خلال نهاية القرن الخامس عشر ميلادي عندما أنهيت عملية "إعادة الفتح" وطرد الملوك المتسامحون جدا من مملكتهم بموجب منشور 31 مارس 1492 م كل اليهود الذين لازالوا يقيمون بالأراضي الإسبانية (ما يبن 150.000 و 200.000 يهودي) . فوجد الكثير من الفارين ملجأ بمدن المغرب الأوسط و بالخصوص مدينة الجزائر ، وهنا سيكون لمساهمتهم الثقافية و الاقتصادية عظيم الأثر في إحياء و إثراء اليهودية المحلية التي أبرزوا فيها البعد الاسباني.

وفي عام 1516 م أطاح بابا عروج ـ بربروس ـ بالأسرة الحفصية الحاكمة بتونس و جعل من الجزائر عاصمة الإقليم الواقع تحت سيطرته و جعله رهن إشارة و سلطة الإمبراطورية العثمانية.[1]

أثناء حملة شارل الخامس اليهود بما فيهم الميغوراشيم الذين لا يزالوا يتذكرون بألم شديد الاضطهاد الذي تعرض له أجدادهم بإسبانيا فضلوا السلطة التركية العربية على الحكم الإسباني الكاثوليكي ، فاتخذوا موقفا معاديا لملك إسبانيا شارل الخامس و مؤيدا لحاكم مدينة الجزائر خير الدين، وفي 23 أكتوبر 1541 م عندما أخفق شارل الخامس في محاولته الأخيرة للإستلاء على مدينة الجزائر إتخذت الجالية اليهودية بالعاصمة من هذا اليوم " يوم صيام و استبشار " فهذا "البوريم" لمدينة الجزائر سيتحول إلى عيد محلي تقليدي سيتم إحياؤه لسنوات طويلة في بعض العائلات اليهودية.[2]

المطلب الثاني: تأثير الهجرات الأندلسية

لقد عاش العرب المسلمون أزهى العصور في بلاد الأندلس نتيجة الرقي الحضاري الذي عرفوه ، و تطورهم في جميع ميادين العلوم و العمران و بناء السفن لكن المشاكل السياسية بين القادة و الصراع على الحكم هو العلة التي تصيب كل نظام حكم حتى تؤدي به إلى الموت و تقضي عليه و هذا ما حدث لحضارة المسلمين في الأندلس حيث بدأت تسقط إماراتها الوالدة تلوى الأخرى في أيدي المسيحيين إلى غاية سقوط آخر مملكة لهم وهي غرناطة سنة 1492 م ، وبهذا انتهى عهد المسلمين في الأندلس.[3]

وفي الحقيقة لم يكن يقطن بالأندلس فقط المسلمون ، بل كان اليهود يمثلون عنصرا مهما بها، حيث هم من وراء تطور بناء السفن و تطور التجارة عند المسلمين ، ولهذا فإن مع طرد المسلمين جاء معهم كذلك طرد اليهود من المملكة الإسبانية المسيحية ، فهذا ما أراده ملكا اسبانيا الجديدان ، حيث أنشؤوا ما سموه محاكم التفتيش وهي محاكم أسست في عهد ملكا اسبانيا فرديناند و إيزابيلا مهمتهما محاكمة المسلمين و اليهود ، ظهرت بعد صدور القرار الذي يقضي بتمسح كل من هو في اسبانيا و قرار الطرد في حالة عدم القبول بالمسيحية من طرف المسلمين و اليهود في اسبانيا لكن هذان الأخيران رفضوا هذا و إستعملوا ما سموه "مبدأ التقية " أي إخفاء ما يبطنون ، و لهذا ظهرت هذه المحاكم لتفتش عن بقايا المسلمين و اليهود.

---

[1] عيسي (شنوف) ، المرجع السابق .ص 42/41.
[2] عيسي (شنوف) ، المرجع السابق .ص 42.
[3] شوقي عطاء الله (الجمل)، تاريخ المسلمين في افريقيا و مشكلاتهم ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، د ت. ص 201

إذن قلنا في بداية المبحث أن اليهود قد تواجدوا بالجزائر منذ القديم لكن ظل أثر وجودهم غير واضح، لكن مع بداية الهجرات الأندلسية بدأ تمركزهم يتضح و يبرز شيئا فشيء، وبدأ تأثيرهم وسط المجتمع الجزائري يزداد إبتداء من هذه الحقبة.[1]

- وهاهو حمدان بن عثمان خوجة الذي عاش بعض فترات الحكم التركي إلى نهاية عام 1830 م يقول في هذا الصدد : " تسكن الجزائر طبقات مختلفة من الناس ، وكان سكانها في الأصل من العرب الذين فروا من اسبانيا عندما كان الإسبانيين يستعملون مضيق جبل طارق لاقتراف جريمة الإغراق إلى درجة أن عدد من الضحايا بلغ ثلاثة ملايين نسمة ، وفي ذلك الحين جاء الأتراك لنجدتهم " .[2]

وقد ساعد وجود الاندلسيين في الجزائر مساعدة كبيرة علي تنظيم الحكومة وعلي تقديم الحضارة و هكذا نشأت ثلاثة سلطات ، إحداهما مدنية و الثانية قضائية و الثالثة هي سلطة السيادة التنفيذية . وجعل علي راس السلطة المدنية شيخ المدينة يساعده مجلس بلدي ، ومن اختصاصاته المحافظة علي الأمن والنظافة و العمل علي توفير كل ما من شانه ان ينفع المدينة.

كما انه مكلف بجمع الضرائب و كانت في ذالك الوقت تفرض علي الحوانيت فيدفع كل حانوت شهريا حوالي ست سوردي من نقود فرنسا . وضبطت غرامة علي اليهود و الاغنياء لحماية اشخاصهم وضمان معتقداتهم ، وهي غرامة تتناسب مع ثرواتهم و تتماشا مع قانون البلاد . ومن بين الأسر التي كانت تفر من اسبانيا عدد كبير من اليهود الذين فضلوا مدينة الجزائر علي غيرها لما رؤوا فيها من حكم معتدل وامن علي أشخاصهم .[3]

إذن نستطيع القول انه والي غاية هذه المرحلة فان قدوم اليهود إلي الجزائر عن طريق الهجرات الأندلسية كان عاملا ايجابيا ، ساهم إلي درجة كبيرة في تطوير عجلة التقدم بالجزائر.

المطلب الثالث: اليهود ايام التواجد التركي

امتازت الجزائر في العهد العثماني بتركيبة سكانية معينة كغيرها من الحقب الزمنية التي مرت على البلاد ، حيث نجد ؛ في المرتبة الأولى عنصر الأتراك حيث يوجد صنفين من الأتراك بالجزائر ، الصنف الأول هم الأتراك الأصليين الذين يأتون إلى الجزائر يوميا من الإمبراطورية العثمانية بحثا عن الثروة ، خاصة في ميدان القرصنة ، أما الصنف الثاني هم أتراك العقيدة ، وهم المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام وهم الذين يعرفون باسم الأعلاج . هؤلاء الأعلاج أكثر عددا من الأتراك الأصليين. ونجد كذلك في المرتبة الثانية عنصر الكراغلة ؛ وهم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات ، إضافة إلى هذين العنصرين أي الأتراك و الكراغلة نجد كذلك عنصر الحضر ؛ والحضر هم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة و يكتسبون أسلوب حياتها ، هم في مدينة الجزائر صنفان ؛ صنف البلديين و صنف الأندلسيين ، البلديون هم أهالي بالمدينة و استقرت عائلتهم منذ القديم ، أما الأندلسيين هم أولئك الذين جاءوا من ممالك أرغونة ، بلنسية ، قطلونيا ، و غرناطة .

---

[1] شوقي عطاء الله (الجمل)، المرجع السابق . ص 202/201.

[2] حمدان(بن عثمان خوجة)، المرأة ، تقديم وتعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، ط : 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 م . ص 101.

[3] حمدان (بن عثمان خوجة) ، المرجع السابق . ص 109/108

نجد كذلك طائفة البراني التي تتشكل من أناس غادروا الأرياف بحثا عن العمل في مدينة الجزائر. وهناك كذلك طائفة الأهالي و العديد من الطوائف المتناثرة عبر كافة البلاد .

لنصل في الأخير إلى العنصر اليهودي في المرتبة الأخيرة ، وذلك نظرا لقلتهم في الجزائر ، فأغلب المصادر عندما تتحدث عن إحصائيات سكان الجزائر في بعض الأحيان لا تشير إلى تعداد اليهود بالجزائر.[1]

وفي تقرير مرفوع إلى الملك الفرنسي سنة 1827 م ، بخصوص مشروع الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر ، أورد وزير الحربية الفرنسية ' كليمون طونير ' الأرقام التالية بخصوص سكان مدينة الجزائر : كان عدد سكان الجزائر يبلغ أكثر من مائة ألف نسمة ، لكنهم لم يعودوا سوى حوالي 40 ألف نسمة ؛ 6 ألاف منهم تركي ، 8 ألاف كرغلي ، 20 ألف أهلي ، 6 ألاف يهودي .[2]

ولم يكن إستقرار و تمركز اليهود بمدينة الجزائر فقط ، بل انتشروا عبر كافة البلاد ، أغلبهم إن لم نقل كلهم استوطنوا على كافة الشريط الساحلي ليتوغلوا فيما بعد إلى الداخل وهذا يعني أن تمركزهم تم في المناطق الشمالية ، و هذا راجع بالخصوص إلى الهجرات الأندلسية التي تحدثنا عنها سابقا ، كان حوض البحر الأبيض المتوسط هو طريقهم ، خاصة عبر مضيق جبل طارق . ونجد اليهود موزعين في أغلب المدن في الجزائر ، تلمسان ، وهران ، معسكر ، مستغانم ، قسنطينة وفي واحات وادي ميزاب ، و في قرى بلاد القبائل ، وفي المدية وفي بجاية.[3]

إذن من هنا نجد بأن انتشار اليهود لم يقتصر على منطقة واحدة فقط بل كان يعم كافة الأراضي الجزائرية ، أما عما عرف على اليهود ؛ فهم عرفوا و منذ القديم بذكائهم خاصة في ميدان التجارة ، فهذا ماعرف عنهم بالأندلس ، و نظرا لإنتقالهم إلى الجزائر فقد حولوا كل معارفهم بالتجارة إليها و قاموا باحتكارها لدرجة كبيرة و هذا ما تؤكده جميع المصادر والمراجع.

لقد وظف اليهود أموالهم و علاقاتهم الحسنة مع الأندلسيين كي يحتلوا موقعا هاما من حياة الجزائر. و جميع المراجع تؤكد على احتكار اليهود صناعة المجوهرات و ضرب العملة في الجزائر ، و كانت لهم حوانيت يبيعون فيها الأقمشة و الخردوات بالتجزئة ، و كان بعضهم يبيع نفس الأشياء في الطرقات طباعة متجولين . من اليهود من اشتغلوا بالخياطة ، ومنهم من كان يسافر تاجرا إلى تونس و جربة وعنابة و طرابلس و قسنطينة و وهران و تلمسان و تطوان و فاس ، ومنهم من كان يصل حتى إلى القسطنطينية .

رغم ما كان يتمتع به اليهود من الناحية الاقتصادية فإنهم ظلوا أدنى الطوائف الحرة في نظر المجتمع الجزائري . و يذكر أحد المؤرخين "هايدو" أن اليهودي إن إعتدى عليه واحد من الأهالي ، فما عليه إلا الهرب إن استطاع لذلك سبيلا ، و أن المسلم يقف إلى جانب المسيحي إن تشاجر هذا الأخير مع اليهودي . كان اليهود يخشون السلطة إلى درجة أنهم كانوا يعاملون عبيدهم المسيحيون معاملة حسنة ، خوفا من أن يشتكي العبد إلى تلك السلطة فتصادره منهم . كان اليهود معرضين للنهب في كل

---

[1] صالح (عباد) ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م 1830م دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2005م. ص 354/ 357/ 358.

[2] صالح (عباد) ، المرجع السابق . ص 355.

[3] صالح (عباد) ، المرجع السابق . ص 355 .

اضطراب يقع في الجزائر ، وهناك من يشير إلى أنهم لم يكونوا يقبلوا على شراء العقارات ، رغم مالهم من إمكانيات مادية ، خوفا من المصادرة.[1]

المبحث الثاني: ظهور الامتيازات التجارية لليهود بالجزائر

المطلب الأول: تأسيس الشركة اليهودية التجارية

نظرا لما كان عليه يهود الجزائر من الخبرة بفنون التجارة و مهاراتهم في طرق كسب المال ، و ما كان لهم من الإطلاع على سير الاقتصاد الجزائري بسبب تدخلهم الجريء في شؤون البلاد سياسيا و اجتماعيا ، و إقحامهم لأنفسهم في كل مسلك من وعر أو سهل ، فحصلوا بذلك على نوع من التسلط السياسي ، فقبضوا على خيرات البلاد و استحوذوا على طرق اقتصادياتها ، وغالب إمكانياتها الحيوية ، ولا سيما ذلك على عهد الداي مصطفى باشا – 1798 م /1805 م – الذي اهتم بمساعدتهم في الحصول على كثير من الامتيازات التي خولتهم في التصرف في تسيير الاقتصاد الجزائري، فتفوقوا في ذلك على غيرهم من أهل البلاد ، حتى أصبح لهم نوع من النفوذ على بعض رجال الحكم ولا سيما منذ أن أخذ اليهودي ميخائيل كوهين المدعو بن زاحوط في تأسيس مركزه التجاري ، و تدعيمه بالجزائر سنة 1184 ه-1770 م ، ثم سعيه بكل مجهداته في توسيع نقاط نوفده في ميدان السياسة و الاقتصاد . إلى أن حصل على مكانة مرموقة بين رؤساء الجزائر و زعمائها ، و ساهم في كيان الحركة الاقتصادية في السوق الخارجية فضم إليه يومئذ (1197 ه-1783 م) كلا من بنيه وإخوته الثلاثة و صهره المسمى نفتالي بوجناح المدعوا بوشناق او بوزناج ، ويوسف باكري ، وعملوا جميعا على تكوين شركة اقتصادية لإحتكارهم تسيير الحركة الاقتصادية بالجزائر و المعاملات مع الخارج أيضا . ولقد كتب لهم النجاح في خطتهم هذه فقبضوا على محصولات البلاد الزراعية و وضعوا أيديهم على جميع منتجاتها المختلفة و أصبحوا بذلك في درجة الملوك و السادة.[2]

تختلف المصادر في توضيح الشخص المؤسس الحقيقي للشركة اليهودية، حيث نجد بأنه يرجع بداياتها إلى بداية النفوذ اليهودي للجزائر في العهد العثماني و هذا عن طريق اليهودي سالا مون جاكيت أو سليمان جاكيت ، وهو من يهود ليفورنه ، الذي عاش عمرا طويلا ومات سنة 1724 م و البعض يقول 1725 م ، هذا الأخير الذي عرف بأنه مخادع ماهر ، يعلم مختلف طرق الإجرام ، و يماك مهارة فائقة تساعده علي السيطرة علي كبار المجرمين ويتمكن من تمييزهم ، ويتمكن من ضبطهم ، وقد اقنع الداي في تلك الفترة ان مصلحته مرتبطة به ، واقنع الداي بذالك وانقاد إليه الداي بسهولة وغدى كأنه واحد من اليهود.

سليمان جاكات هو يهودي وقد كتب عنه التاريخ مدي مكره ودهائه ولكنه لم يكن فردا من عائلة ابن زاحوط.[3]

---

[1] صالح (عباد) ، المرجع السابق . ص 362.

[2] عبد الرحمان بن محمد (الجيلالي) ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 3 ، ط : 8، دار الأمة ، الجزائر ، 2007. ص 300/299.

[3] تذكر المصادر عن أهم عائلتين يهوديتين جاءت من مدينة ليفورنا إلى مدينة الجزائر و هما ، عائلة باكري و عائلة بوجناح أو بوشناق. بالنسبة لعائلة بوجناح ، فقد قدم رئيسها الأول و هو ابن زاحوط أو زاقوط الذي قدم من مدينة ليفورنا سنة 1770 م ، وقد كان

كان اليهود ناشطين جدا بفضل تجربتهم التجارية و بفضل معرفتهم لغة و عادات الجزائريين ، و بفضل استمالة حكم الإيـالـة و ربطهم بالمصالح التجارية اليهودية و الفرنسية .

- فأيا كان الشخص اليهودي الحقيقي المؤسس للشركة اليهودية التجارية بالجزائر ، فان فعلا هذه الشركة استطاعت و خلال فترة قصيرة إن تمسك بزمام أمور التجارة ، و قد وجدنا هذا بفرنسا كذالك ؛ حيث اغتنمت الشركة اليهودية فرصة ضعف و كالة إفريقيا الفرنسية . و تدخلت لتحل محلها و تصبح هي المسؤولة علي تدعيم كافة فرنسا بالحبوب و تسيطر علي التجارة داخل الجزائر كذالك ، بما أن فرنسا كانت في تلك الفترة أهم دولة تتعامل معها الجزائر . وهكذا تمكن اليهود من بسط نفوذهم ، وسنري فيما بعد هذا الامتياز التجاري إلي أي حد ستكون أبعاده. [1]

المطلب الثاني: الثورة الفرنسية و حملة نابوليون على مصر و مساعدات الشركة اليهودية لفرنسا

بعد الثورة الفرنسية بسنة واحدة أقرت الحكومة الفرنسية الجديدة معاهدة فرنسا السابقة مع الجزائر في يوم 29 مارس ، كما أقرت المعاهدة الخاصة بالباستيون يوم 23 جوان . وفي سنة 1792م أعلن عن قيام الجمهورية الفرنسية بعد إعدام الملك لويس الرابع عشر . وفي 20 ماي 1793 م أقرت حكومة الجمهورية معاهدات فرنسا مع الجزائر من جديد . بقيت فرنسا محافظة و بتالي علي امتيازها بخصوص الحبوب. قررت الحكومة الجديدة شراء اكبر كمية ممكنا من القمح الجزائري لمواجهة القحط الذي عم فرنسا في تلك الآونة . ولم اتضح ان " شركة إفريقيا الملكية " كانت علي وشك الإفلاس و غير قادرة علي تنفيذ قرار الحكومة ، تقرر استبدالها سنة 1794 م ب " وكالة إفريقيا "[2]

و لهذا رخصت الحكومة الفرنسية للشركة اليهودية إقامة وكالة لها في العاصمة الفرنسية.

ومن باريس مدت الشركة اليهودية نشاطاتها إلي أماكن مختلفة ، بحيث غدت " وكالة إفريقيا " هي التي تدور في فلك الشركة اليهودية التي وجدت الحماية من الباي حسين بوحنك ، باي قسنطينة. كان اليهود ناشطين جدا بفضل تجربتهم التجارية و بفضل معرفتهم لغة و عادات الجزائريين ، و بفضل استمالة حكم الإيـالـة و ربطهم بالمصالح التجارية اليهودية و الفرنسية .

في 4 ماي 1798 م توفى الداي حسين . حل محله مصطفى باشا الخز ناجي ، ابن أخيه . بعد حوالي شهرين من تعيين الداي هذا وقعت الحملة الفرنسية على مصر . اعتبر نابوليون بونا بارت العملية عملية تحرر ، و حتى يجلب عطف سكان المغرب ، استولى وهو في طريقه إلى مصر ، على جزيرة مالطا . طرد منها فرسان القديس " بوحنا " الذين كانوا من أكبر أعداء المغرب . مارسوا القرصنة و شاركوا في كل الحملات الأوروبية على سواحل ، المنطقة تقريبا . لقد حرر نابوليون العبيد المسلمين

لزاحوط هذا أربعة أبناء ، كذلك لديه حفيد يدعى نفتالي بوجناح . هذا الأخير الذي بدأ نجمه يلمع في عالم التجارة منذ سنة 1782 م، وفي مستهل العقد التاسع استطاع بذكائه و مكره أن يكسب ثقة الداي حسين الذي حكم إلى غاية 1798 م – 1218 ه ، و يصبح مستشار له ذا نفود لا مثيل له ، حتى أن المصادر الغربية كانت تسميه ملك الجزائر ، و استمر نفوذه على حكام الجزائر إلى غاية عهد مصطفى باشا 1798 م / 1805 م .

[1] صالح (عباد) ، المرجع السابق . ص 190.
[2] صالح (عباد) ، المرجع السابق . ص 189 /190.

الذين وجدهم لدى هؤلاء الفرسان .كما حرر العبيد المسلمين الذين و جدهم في ليفورنه و جنوه. أرسل بونا بارت إلى الأتراك الجزائر يخبرهم بما فعل ، على أمل ألا يتحدوا موقفا مساندا للدولة العثمانية . وفي هذا الوقت أرسلت القسطنطينية للقبطان باشا ليخبر الداي أن الباب العالي عازم كل العزم على رد هذا الاعتداء الفرنسي . ومما جاء في رسالة الباب العالي : " يجب أن تلقوا بهم في غياهب السجن لتشعروهم باحتقاركم لهم و أن تسارعوا إلى المشاركة في الجهاد و تعترضوا سفن الفرنسيين الظالمين و تقاتلوهم ، و تأسروها و تحرقوها " . لم يكن الداي قادر على اتخاذ موقف يتعارض مع مصالح اليهود . أعلن الحرب على فرنسا في 21 ديسمبر 1798 م ، و أخدت سفن القرصنة تهاجم السفن الفرنسية و خربت القوات التركية كل المؤسسات الفرنسية على السواحل الشرقية من البلاد منها مؤسسة القل التي عادت إلى نشاطها في نفس السنة ، فاقتيد عمالها إلى مدينة الجزائر . هذه الإجراءات لم تكن تمس مصالح حكم الجزائر ولا مصالح اليهود ، بل تخدم هذه المصالح نفسها.[1]

لقد ظل اليهود يزودون فرنسا بحبوب الجزائر، بل إن جزء من تموينات جيش الحملة في مصر، خرج من بلاد الجزائر ، على يد اليهود . الأمر الذي أدى إلى ارتفاع ديون فرنسا إلى 15 مليون فرنك أثناء الحملة على مصر.

لقد طلب الباب العالي بطرد اليهود من الجزائر ، غير أن الداي الذي كانت له صداقة مع بوجناح غض الطرف عن هذا الطلب ، بل عين بوجناح هذا سنة 1800 م أمينا للطائفة اليهودية في الجزائر، بدلا من الأمين السابق إبراهيم بوشارة.[2]

لقد استغل اليهود فرصة ضعف وكالة إفريقيا سنة 1798 م ، هذه الأخيرة التي كانت تابعة للحكومة الفرنسية في تلك الفترة . وأعادوا هنا لتمويل نابوليون و حملته . و تعاقد الفرنسيون مرة أخرى مع الشركة اليهودية، فالمرجع السابق ـ حوليان شارل أندري ـ يوضح لنا كيف أن الداي عارض أوامر الباب العالي حتى لا يخسر صداقة اليهودي بوجناح.

تؤكد لنا مراجع أخرى عن تموين الجزائر لحملة نابوليون بصفة خاصة و فرنسا بصفة عامة ، ألا وهو مرجع عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام و مضمونه يقول : و فيما بعد الثورة الفرنسية الكبرى ، عزم نابوليون على غزو إيطاليا و مصر سنة 1798 م ، و شعر بحاجته الأكيدة إلى الميرة و القوات ، فالتفت إلى الجزائر مستمدا إليها في ذلك أيضا ، فأمدته هذه بأنواع الحبوب و الزرع و استقراضها مالا فأقرضته ، و استمر الداي على مد يد المساعدة إلى حكومة فرنسا الديمقراطية أو القنصلية. و بذلك تغلبت هذه على المجاعة ، و انتصرت في ثورتها و قهرت أعدائها.[3]

وذهبت فرنسا في طريقها مستمرة على ستراد القمح من الجزائر بواسطة الشركة الفرنسية "أجانس ناسيونال دافريك " ، بسعر لا يتجاوز اثنين و أربعين فرنكا للقنطار الواحد ، فما راعنا إلا ، و فرنسا تحول نظرها عن هذه الشركة فتضرب عنها صفحا ، لتعقد صفقة جديدة مع شركة يهودية كانت محتكرة لحبوب الجزائر ، و أخشابها ، وتلك هي شركة يعقوب كوهين بوخريص "باكري" ، و بوزناك أو بوشناق من يهود ليفورنه ، المستوطنين بالجزائر.[4]

---

[1] جوليان شارل (اندري) ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي الي سنة 1827 م ، تعريب محمد مزالي و اخرون ، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978 م . ص 143 / 144.

[2] جوليان شارل (اندري) ، المرجع السابق . ص 144.

[3] عبد الرحمان بن محمد (الجيلالي) ، المرجع السابق . ص 346 / 374.

[4] عبد الرحمان بن محمد (الجيلالي) ، المرجع السابق . ص 347.

بناءا على التعويض الذي حصلت عليه شركة باكري و بوخريص اليهودية من الداي في التعامل مع الخارج ، استظهرت هذه الشركة أوراق تشمل على حساب مبلغ الديون المترتبة على دولة فرنسا ، من قبل شراء حبوب البر ، متدرعة بها للحكومة الجزائرية في هذا الدين من قسط ثابث أو سهم مقرر. و الواقع أن حكومة الجزائر كانت منخدعة لهذه الشركة ، منقادة لتدابير في تسيير دفة الإقتصاد بهذه البلاد ، فضاع بذلك الكثير من حظ الجزائر و قسطها الأوفر.[1]

و الحقيقة أن فرنسا قامت بدفع النسبة الكبيرة من ثمن القمح الجزائري إلى الشركة اليهودية . لكن الشركة اليهودية تواطأت مع فرنسا بالجزائر و وزير خارجيتها و قامت بمخادعة حكومة الجزائر بحيث تراخت في سعيها لقبض ما تبقى من ديون الجزائر في ذمة فرنسا و ذلك إمعانا منها في تعقيد القضية و إحداث مشاكل مع فرنسا و تعكير صفو العلاقات الجزائرية الفرنسية.

وعندما علم الداي بهذه الخدعة ، واجه الشركة اليهودية بالحقائق و شدد عليها الخناق لكي تدفع أموال الجزائر المجمدة لديها ، و بدلا من أن تستجيب وتلبي طلب دولة الجزائر ، قام المسؤولون في الشركة اليهودية بمراوغة خبيثة تمثلت في تقديم رشوة إلى سفير فرنسا بالجزائر و ممثل الشركة اليهودية بباريس نيقولا بليفيل ، لا تقل عن مليون من الفرنكات الفرنسية و ذلك بقصد المماطلة وعدم دفع الأموال المستحقة بالجزائر.[2]

المطلب الثالث: التدخلات السياسية لليهود

قام الفرنسيون باغراق سفينتين جزائريتين في منياء يروفانس ،غضب حسن باشا من تصرف الفرنسيين كثيرا فامر بطرد القنصل الفرنسي و الرعايا الفرنسيين من الجزائر ، ولكنه ما ماليث أن تراجع عن قراره بعد يومين من اتخاذه وذالك سنة 1792. أما الدول المتحالفة فقد استخدموا اليهود كوسيلة لممارسة الظغط علي الفرنسيين والجزائريين بان واحد ، فحسن باشا كان قد عهد لليهود الإشراف علي جميع الأعمال التجارية في الجزائر ، ولهذا كانو يتمتعون بنفوذ قوي لدي الباشا ، فجميع اليهود أغنياء وباموالهم تمكنوا من شراء اصحاب النفوذ حتي غدوا يحكمون البلاد سرا، فقد علموا أبناء بلدتهم بان الرشوة والإهمال هما من أفضل وسائل النجاح .

لم تظهر قرة اليهود و قوتهم الا عندما كانوا يشعرون بالضيق فقد كانوا يصرون بالحاح شديد علي تلبية طلباتهم ، وكان الفشل عندهم مستحيل ، لان فشلهم يعني زوال الجماعات اليهودية.

ومن بين اليهود ذكرنا اليهوديان بكري و نفتالي بوجناح ، وقد كان لهما دورا كبيرا في الجزائر ، واستمرا يتمتعان بهذا النفوذ أكثر من عشرين سنة، فقد كان لهما مخابرات سرية تتجول بين الاهالي عليشكل تجار متجولين ينقلون لهم اتفه الاخبار، وكان ينقلان هذه الاخبار بدورهما للداي حسين باشا، ولهذه احتلا لديه مكانة بارزة واصبحا موضع ثقة، كما اصبح يملكان صلاحية تعيين و عزل البيات،

---

[1] عبد الرحمان بن محمد (الجيلالي)، المرجع السابق. ص315.

[2] عمار(بوحوش)، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية و لغاية 1962، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1997. ص 87.

وبعبارة اصح أصبحا يسيطران علي الجهاز الإداري في الجزائر سيطرة كاملة، وغدت مقدرات البلاد بيديهما و يحركان شؤون البلاد بما يتناسب و مصالحهما الخاصة والعامة[1]

وهكذا بدا نفوذ اليهود يقوي ويزداد ، فقد لعبوا دورا الوسيط بين الجزائر و الدول الاروبية ، وأقاموا المقاولات التجارية و التي تناسبهم دون الرجوع الي الداي ، واذا دعت الحاجة كانوا يهددون الدول الاروبية التي لاتلبي رغباتهم بإعلان الحرب أيضا، وفي القرن الثامن عشر تعاظم نفوذهم كثيرا ، حتي غدا بكري و بوشناق لايتركان الداي يتحدث مع القنصل علي انفراد و أصبحا يتدخلان بشؤون الداي الخاصة، ويعزلان و يعينان الأمراء في الصناجق ويحددان اسعار المواد التجارية، و يرتبان و يخططان الأعمال للقراصنة، فأصبحا بشكل أوضح كانهم حكام الجزائر الحقيقيين.[2]

ان هذا الاضطراب الذي طبع الادارة الجزائرية بسبب تدخلات بوشناق و بكري لم يكن وليد الصدفة، بل ان سياسة التغيير الدائم للبايات ، كان الهدف منها في نظري اليهوديان هو تمكين خزينة الداي من الحصول علي مكاسب واموال جديدة، لان كل باي يعزل او يوقف تحجز امواله و بهذه الطريقة يصرفان الداي عن مطالبتهما بدفع ماكانا يجمعانه من ثروات.[3]

وفي الأخير يمكن القول ان حادثة المروحة الشهيرة خدعة او خطة قد حيكت علي مستوي الشركة اليهودية ، لكن الثمن قد دفعه كافة الشعب ، ولم يستفد من هذه القطيعة سوي هذان اليهوديان – باكري و بوجناح- حيث تقربا من الدايات بالجزائر بهدف التجارة ، وبعد منحهم ذالك أصبحا يتدخلان في الأمور السياسية التي ليست من شانهم ولا يمدون لها بصلة ، حتى أوقعوا بهذه البلاد في أيدي استعمار كان من الممكن لو لم تحدث كل هذه الأمور ، لكانت فرنسا اقرب دولة تتعامل مع الجزائر خلافا عن بقية الدول.

الخاتمة :

- لقد تابعنا خلال هذا البحث مسار اليهود ، ولاحظنا كيف أنهم استطاعوا أن يكبروا شيئا فشيئا ، إلى أن صاروا هم وسطاء سياسيين بين أوروبا و إيالة الجزائر و صار باستطاعتهم الحصول على صفات يعجز عن التوصل إليها كل الناس ، و ذلك بواسطة شراء القضايا من الدايات ومن الوزراء و يقومون بإعلان الحرب بناء على مصالحهم الخاصة.

- و استمر تنامي النفوذ اليهودي في الجزائر خلال كامل القرن الثامن عشر و وصل نفوذهم مع نهاية هذا القرن أن صارت عائلة بكري و بوشناق تفاوض مباشرة مع القناصل الأوروبيين ، و كانوا يمنعون القناصل من الاتصال بالدايات بل توصلوا إلى تسمية و إقالة البايات ، و تحكموا في القرصنة و تدخلوا في تحديد مقدار الضريبة التي تفرض على السكان و كذا الرسوم على التجارة ، و بكلمة مختصرة فقد وصل نفوذ اليهود إلى درجة أن صاروا هم الملوك في الجزائر .

---

[1] عزيز سامح (التر) ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط : 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 م ص568/567 .

[2] عزيز سامح (ألتر) ، المرجع السابق . ص 410 .

[3] مبارك بن محمد الهيلالي (الميلي) ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج:3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، دت . ص249

- لقد رأينا سالفا أن يهود ليفورنه الذين جاءوا إلى الجزائر للاستقرار منذ بداية حكم الدايات و استغلوا المتاعب المالية لهؤلاء الدايات ليحصلوا على امتيازات هامة و يحتكروا التجارة لصالحهم ، و كونوا بذلك ثروات كبيرة و استغلوا بعضا من هذه الثروات لشراء ذمم كبار رجال الدولة . و شيئا فشيئا صار هؤلاء اليهود هم الأسياد الحقيقيون في الجزائر ، بسبب معرفتهم العميقة بطابع الأتراك الذي اتصفوا بعدم الاكتراث و حب المدح . و اشتهر من هؤلاء اليهود كل من نفتالي بوشناق و يوسف بكري بذكاء خارق و نشاط بارز في المضاربات و بسخاء كبير في سبيل المصلحة و شجاعة لا تضاهي و نشاط لا يعرف الوهن . و قد لعبت هاتان الشخصيتان في تاريخ الجزائر دورا لا يخلوا من العظمة و المجد . و هذا من خلال سيطرتهم على التجارة الجزائرية عن طريق التقرب إلى الدايات لمنحهم امتيازات تجارية تخولهم في التحكم في أهم المراكز التجارية داخل البلاد و حتى خارجها .

- و فعلا تمكنا هذان اليهوديان من القبض على زمام الأمور بالبلاد من خلال هذه الامتيازات و تحويلها من جانب اقتصادي إلى جانب سياسي ، حيث تدخلوا في إفساد علاقة الصداقة التي كانت موجودة بين الجزائر و فرنسا و تحويلها إلى حرب ضروس دامت لأكثر من قرن سالت خلالها دماء ملايين الشهداء.

- و هذه النقطة هي التي أردت الوصول إليها وتوضيحها من خلال هذا البحث ؛ أي عن سبب وقوع الجزائر في دوامة الحرب ، ومن خلال بحثي اتضح لي أن اليهود و تدخلهم في سياسة البلاد هو سبب خراب هذا النظام ، بنسبة كبيرة ، لأنهم لعبوا على الوتر الحساس في الدولة ألا وهو النظام السياسي .

- و للأسف هذه هي الحقيقة ؛ فاليهود منهم من قتل ومن هم من فر خارج البلاد ، و الأتراك عادوا إلى موطنهم ، ومن الذي دفع الثمن هم الأهالي الجزائريين أو الشعب الجزائري إن صح التعبير ، هذا الأخير الذي لا حول ولا قوة له ، فهو استغاثة بالأتراك عندما هجم الإسبانيين عليهم ، لكنهم وقعوا في شباك خطة خبيثة وضعها اليهود و نفدها الحكام و حصد ثمارها الفرنسيين.